The Jurisprudence of Da'wah to the Hypocrites: A Study of Shaykh Amin Ahsan Islahi Interpretation in Tadabbur-e-Qur'an"

فقه الدعوة في دعوة المنافقين عند الشيخ أمين أحسن إصلاحي من خلال تفسيره تدبرِ قرآن

رحمة راٹھور
الباحثة بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بإسلام آباد. العالمية،
د. عبد القادر هارون
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

Abstract
This article examines the jurisprudence of Islamic daʿwah (propagation) toward hypocrites, drawing on Shaykh Amin Ahsan Islahi's Tadabbur-e-Qur'an. It analyzes Qur'anic verses that describe the traits and behaviors of hypocrites and the internal barriers that prevent them from embracing the truth, offering insights for addressing modern manifestations of hypocrisy in Muslim societies. Historically, hypocrites undermined the early Muslim community from within, and similar patterns reappear today amid global challenges facing the ummah. Islahi's exegetical approach highlights the Qur'an's multi-layered strategy toward hypocrisy—combining exposure, indirect critique, invitation to reform, and stern warning—while revealing the psychological and moral roots of this disease and the Qur'anic method of confronting it.

Keywords: Fiqh of Da'wah, Hypocrites, Tafsir, Amin Ahsan Islahi

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على المبعوث رحمةً للعالمين؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن استنّ بسنته وسار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

يتناول هذا المقال بيان خطر المنافقين على المجتمع المسلم، فهم العدو الداخلي الذي يتخفى برداء الإسلام ويعمل على نشر الفتن وتقويض كيان الأمة، كما كان حالهم في عهد النبي ﷺ وصحابته. وتزداد أهمية دراسة فقه التعامل مع المنافقين في واقعنا المعاصر مع تنامي مظاهر النفاق واندساس أصحاب الأهواء والمصالح بين المسلمين، مما يحتم على الداعية معرفتهم والتحذير من أساليبهم وفق هدي القرآن والسنة.

كما تكمن أهمية البحث في بيان أن نجاح الداعية يبدأ بالاعتماد على القرآن والسنة، وفهم تفسير العلماء الراسخين، ومن أبرزهم الشيخ أمين أحسن إصلاحي – رحمه الله – صاحب تفسير تدبر قرآن، الذي يتميز بالتحليل التدبري والبعد الدعوي والتربوي، مما يجعله مرجعًا مهمًا للدعاة والباحثين.

يشمل المقال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

1. **المبحث الأول :**تعريف النفاق وخطورته.
2. **المبحث الثاني :**الفقه الدعوي المتعلق بصفات المنافق في تفسير الإصلاحي.
3. **المبحث الثالث :**الفقه الدعوي المتعلق بأسباب إعراض المنافق عن الحق.
4. **الخـــاتمة :** وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة بالمراجع.

المبحث الأول: تعريف النفاق وخطورته

النفاق في اللغة مأخوذ من نفق اليربوع أو نافقائه؛ إذ يحفر اليربوع جحرًا له مدخل ظاهر ومخرج خفي يخرج منه عند الخطر، فشُبِّه به المنافق الذي يُظهر الإيمان ويُخفي الكفر[i]. أما في الاصطلاح، فهو إظهار الإسلام مع إبطان الكفر، وهو مصطلح خاص بالإسلام لم تعرفه العرب بهذا المعنى قبل البعثة [ii].

وبين الإمام ابن حجر العسقلاني تعريف النفاق في شرح الحديث الذي أخرجه الشيخان عن النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» [iii]

حيث قال الحافظ: "والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه".[iv]

وفي حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة - رضي الله عنهم - في ذكر آية المنافق. أن رسول الله ﷺ قال: «آيةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خان» [v].

ويُعد النفاق خطرًا جسيمًا على المجتمع الإسلامي؛ لأن المنافق يعيش بين المسلمين ويُظهر لهم الإيمان والصداقة بينما يضمر العداء والحقد، فيشيع الفتن ويهدم الثقة، ويقلب المعروف منكرًا والمنكر معروفًا. قال الله تعالى :﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ {سورة المنافقون:4} ، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «إنّي أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ". [vi]

وقد اعتبر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جدال المنافق بالكتاب من الأمور الثلاثة التي تهدم الإسلام، فعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟» قلت: لا، قال: «يَهْدِمُهُ زَلَّةُ العَالِمِ، وَجِدَالُ المُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ". [vii] فقد كان للمنافقين دور خطير في التاريخ الإسلامي؛ إذ استغلوا الثقة وانتشروا داخل المجتمع المسلم في فترات مبكرة، ومن أبرز أمثلتهم عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام نفاقًا، وأثار الشبهات والفتن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى أدت إلى الفتنة الكبرى واستشهادالخليفة عثمان بن عفان.

المبحث الثاني: الفقه الدعوي المتعلق بصفات المدعو المنافق في تفسير الإصلاحي- رحمه الله -.

بعد غزوة بدر الكبرى، أصبح المسلمون أقوياء في المدينة المنورة، وبدأ الناس يحابونهم ويحترمونهم، بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض. فلما رأى بعض المنافقين هذا التغير، دخلوا في الإسلام ظاهرًا، لكنهم في الحقيقة كانوا يخفون الكفر في قلوبهم، خوفًا على مصالحهم في الدنيا وحسدًا للمؤمنين. وقد فضحهم الله تعالى في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

وسوف أقوم في هذا المقال ببيان الفقه الدعوي المتعلق بصفات المنافقين وموانع استجابتهم في تفسير الإصلاحي- رحمه الله - أسأل الله التوفيق والإعانة، فقد تختلف صفات المنافقين من زمان لآخر، والداعية مطالب ببيان هذه الصفات للمدعو وتحذيره منها، حتى لا ينخدع الإنسان بما يسمعه أو يراه من المنافقين، ومن هذه الصفات ما يلي:

1- الصفة الأولى: المخادعة ، ومن صورها ما يلي:

1. إظهار الإيمان وإخفاء الكفر للاطلاع على أسرار المؤمنين:

إن غاية المنافقين الحياة في الدنيا، ولذلك يفعلون كل ما يوصلهم إلى هذه الغاية، فنجدهم في زمن الرسول ﷺ دخلوا الإسلام ظاهرًا، وقاموا بمحاولة خداع الرسول ﷺ والمؤمنين. ومن نواياهم في إظهار الإيمان وإبطان الكفر: الاطلاع على أسرار المؤمنين وكشفها للكفار، وكانت تنزل الآيات في كشفهم، ومع ذلك يستمر أهل النفاق في خداع المؤمنين، وهذه صفة ملازمة لهم. وقد أشار الإصلاحي- رحمه الله - لهذا المعنى عند تفسير قول الله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ سورة البقرة: ٩ ، فقال رحمه الله: « يُظهرون الإيمان ويُخفون الكفر

ليتجسسوا على المؤمنين ويأمنوا على أنفسهم، لكنهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم ويوردونها الهلاك".»[viii].

2. إظهار ما يجلب لهم مصالحهم الدنيوية على حساب الإيمان:

كان المنافقون يظهرون الإيمان خوفًا من العقوبة ويُخفون الكفر طلبًا للدنيا، واليوم يجاهرون بالنفاق تحت ستار الإسلام الصحيح، قال الله تعالى :﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾)البقرة: 14

يقول الإصلاحي – رحمه الله : " يُظهرون الإيمان كذبًا مع المؤمنين، ثم يطمئنون أهل الفساد أنهم على عقيدتهم، حفاظًا على مصالحهم ومعرفة أسرار المسلمين."[ix]

3. الغش والخداع:

قد يُخدع الناس بمظهر المنافقين وحلاوة لسانهم، لكن حقيقتهم الكذب والنفاق. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾)البقرة: 204.

قال الإصلاحي – رحمه الله : "يعجبك ظاهر كلامه ويخفي قلبه الكفر والفساد، يظهر الإيمان رياءً ليخدع الناس، بينما باطنه مليء بالشر والمعاصي يفعل المنكرات علنًا وسرًا، ولا يستحي من فعل الفواحش، سواء كانت ظاهرة أو خفية"[x].

4. يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر:

قال الله تعالى :﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾)آل عمران: 167

يفسر الإصلاحي – رحمه الله هذه الآية: "المنافقون يُظهرون المودة والنصيحة، يتلفظون بكلمات الإيمان والطاعة ، ويُخفون العداء والمكر، والله يكشف حقيقته "[xi].

5. الوقوف مع الغالب ومع الأقوى من أجل مصالح الدنيا:

المنافقون يتقلبون مع الغالب؛ فإن كان المسلمون أقوياء أظهروا الإيمان، وإن غلب الكفار أظهروا الميل إليهم.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾)النساء: 141

قال الإصلاحي – رحمه الله:" يتبعون الطرف الأقوى طمعًا في مصالح الدنيا، لا إخلاصًا للحق" [xii].

2

- الصفة الثانية: الإفساد في الأرض: ومن ذلك ما يلي:

1. تعدد طرق الإفساد

إن الإفساد له طرق شتى، وقد تختلف من زمن لآخر، وقد كان من إفساد المنافقين في زمن النبوة إفشاء أسرار المؤمنين للكفار، أما اليوم، فقد انتشر فساد المنافقين في كثير من مجالات المجتمع، فهم يستخدمون أسماء براقة وشعارات خدّاعة، ليُخفوا نفاقهم،وقد يظنون أنهم يعملون شيئا حسنا، وقد أشار الإصلاحي- رحمه الله -إلى هذا الأمر عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة:11

فقال - رحمه الله -"يفشون الأسرار، ويستخفون بالدين، وينفرون الناس عن هدى النبي ﷺ وهم يظنون عملهم إصلاحًا"[xiii]

2. الإفساد أصبح غريزة ثابتة في طباعهم

أصبح الإفساد سجية في طباعهم فيمارسونه دائما بشكل اعتيادي بلا شعور بالإفساد**.فقد** قال الله تعالى في ذلك : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ﴾)البقرة: 12 ، فقال الإصلاحي" :فسادهم أصبح عادة في نفوسهم حتى ظنوه إصلاحًا " [xiv].

3. الإفساد في الأرض بدعوى الإصلاح

وإن كان المنافقون في حضرة المؤمنين يدّعون الإصلاح، إلا أنه إذا تولوا في الأرض أفسدوا الحرث والنسل، وإذا وجد الفرصة فلا يتوانى في

الإفساد بمختلف صوره . قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾)البقرة: 205 قال الإصلاحي" :يُظهرون الصلاح، فإذا تولوا سَعَوا في الفساد وطلب اللذات، ويخاصمون أهل الفضيلة[xv]".

3- الصفة الثالثة: السخرية من المؤمنين، ومن ذلك ما يلي:

1. السخرية من أهل الإيمان

يسخر المنافقون من المؤمنين لتمسكهم بدينهم وتركهم الدنيا والمتاع لأجل الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾)البقرة: 13 قال الإصلاحي" :سمّوا المهاجرين والأنصار سفهاء لتركهم أموالهم وأوطانهم نصرةً للدين، والسفه الحقيقي في المنافقين[xvi]".

2. الاستهزاء بالدعوة وعدم الانتفاع بها

يستمع المنافقون إلى القرآن ومجالس الدعوة ليس بقصد الفهم، وإنما استهزاءً، فيُحرمون من الانتفاع بالحق.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا قَالُوا مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ سورة محمد: 16 قال الإصلاحي" :عدم الفهم كان بسبب الاستهزاء والتهاون، فصار حجابًا بينهم وبين الهداية" [xvii].

3. الاستعلاء على المؤمنين

يظن المنافقون أن العزة لهم لقوة أعداء الإسلام وكثرتهم، فيحتقرون المؤمنين لقلة عددهم وضعفهم. قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾)المنافقون: 8 . قال الإصلاحي" :توهموا أن العزة لهم، فردّ الله بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين".[xviii]

4- الصفة الرابعة: كراهية المنافقين لأهل الصلاح، ومن ذلك ما يلي:

1. الغضب عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن كَرْه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة لأهل النفاق في كل زمان ومكان، فعندما قامت دولة الإسلام في المدينة وأصبحت مقرا لنشر الدعوة الإسلامية واستقرارا للمسلمين.. دخل بين المؤمنين أناس ممن يدعي الإيمان، وهم كارهون لكل فضيلة، والمنافقون اليوم هم كذلك لا يحبون الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ البقرة: 206، وذكر الإصلاحي: " أن المنافق يكره النصيحة ويغضب عند الدعوة للخير لأنها تفضح فساده" [xix].

2. اتهام أهل الصلاح والطعن في دينهم

لا يتوانى المنافقون الطعن بأهل الصلاح واتهامهم بالغرور بدينهم. قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾)الأنفال: 49 . فبيّن الإصلاحي: " أن المنافق يرى ثبات المؤمنين على الحق غرورًا بدينهم، لعجزه عن فهم حقيقة الإيمان" [xx].

ت. إتهام القائمين بالدعوة إذا لم يُعطوهم من حُظوظ الدنيا:

إنّ المنافقين من أشدّ الخلق حرصًا على حظوظ الدنيا، فإن أُعطوا منها رضوا، وإن لم يُعطوا منها طَعِنوا في أهل الإصلاح، وهذا ليس بمستغرب، فقد طعنوا في خير البشر ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ التوبة: 58. ذكر الإصلاحي: " أن المنافقين يقيسون الدين بالمصالح الدنيوية، فإن حُرموا من أموال الصدقات والغنائم سخطوا وطعنوا في أهل الدعوة" [xxi].

ث. وصف الداعية بالأوصاف الباطلة:

إن المنافقين لا يمتنعون عن وصف الدعاة والصالحين بأبشع الأوصاف، وقد قالوا على النبي ﷺ: "إنه يَسْمَعُ لِكُلِّ أَحَدٍ وَيُصَدِّقُهُ"، ،قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾)التوبة: 61.

وفسر الإصلاحي: " أنهم اتهموا النبي ﷺ بالغفلة لتصديقه المؤمنين، فرد الله بأن ذلك رحمة وفضيلة، وتوعد المؤذين بالعذاب الأليم" [xxii].

5- الصفة الخامسة: نشر الأخبار والإشاعات الكاذبة عن المؤمنين:

يسعى المنافقون إلى نشر الأخبار الكاذبة والإشاعات بين المسلمين لإثارة الخوف والفوضى، وقد كانوا في زمن النبوة يروجون الشائعات فيتأثر بها بعض ضعاف الإيمان،ومن لم تتعمق له المعاني والمفاهيم الإيمانية فيتشكك ويتشوش فيرتاب.... أما اليوم فأصبح نشر تلك الشائعات والدسائس المغرضة أسهل بسبب ضعف الإيمان والجهل به من ناحية وانتشار الوسائل والتقنيات الحديثة من ناحية أخرى . وقد أشار إلى ذلك الشيخ الإصلاحي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة الأحزاب: 60 " إلى أن المنافقين والمرجفين إذا لم يكفوا عن نشر الشائعات وتخويف المسلمين وإظهار عيوبهم، فإن الله يأمر نبيه ﷺ بمواجهتهم وطردهم من المدينة، عقوبةً لهم على فسادهم وإرجافهم" [xxiii].

6- الصفة السادسة: من صفات المنافقين الكسل في العبادات

المنافقون يؤدون الصلاة كسالى، دون رغبة صادقة أو وازع إيماني، وإنما يفعلون ذلك رياءً أمام الناس، خشية الفضيحة، لا طلبًا لثواب ولا خوفًا من عقاب.

وقد بيّن الشيخ أمين أحسن إصلاحي – رحمه الله – في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ سورة النساء:142،" وتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا

يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ سورة التوبة: 54. أي أن المنافقين يتظاهرون بأداء الصلاة، لكنهم يفتقرون النية الخالصة والانشراح القلبي، فهم لا يأتونها إلا وهم كسالى لا تنشرح لها نفوسهم ولا تنشط لها أبدانهم، لأن أصل الدافع لديهم ليس الإيمان بل الخوف من نظرة الناس" [xxiv]. وقال: «أي ولا يصلّون إلا رياء وتقية، لا إيمانًا بوجوبها، ولا طلبًا لثوابها ، واحتسابًا لأجرها " [xxv]

كما أورد أن هذا التكاسل ناتج عن فراغ القلب من الإيمان، فهم لا يؤمنون بجزاء الآخرة، بل يقومون بالعبادة كعادة اجتماعية أو لتحقيق مصالح دنيوية، وإذا غابوا عن أعين المؤمنين تهاونوا بصلاتهم وعباداتهم، وبهذا يبرز الفرق بين المؤمن الصادق الذي يفرح بالعبادة، والمنافق الذي يثقل عليه الوقوف بين يدي الله، ويُظهر الطاعة ويُبطن النفور.

7- الصفة السابعة: من صفات المنافقين كثرة الأَيمان الكاذبة:

من أبرز صفات المنافقين كثرة الأيمان الكاذبة، فيقسمون للمسلمين ليطمئنوا إليهم كما قال تعالى :﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُوا بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُوا خَٰسِرِينَ﴾. سورة المائدة: 53

فقد وضح الشيخ أمين أحسن إصلاحي – رحمه الله – " أن المؤمنين كانوا يتعجبون من هؤلاء المنافقين الذين كانوا يحلفون بالله بأشد الأيمان أنهم مع المؤمنين صادقون، لكن نفاقهم وخيانتهم انكشفت، فبطلت أعمالهم وأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة" [xxvi] .كما أكد الله تعالى ذلك في قوله :

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُم لَمِنكُم وَمَا هُم مِّنكُم وَلَٰكِنَّهُم قَوم يَفرَقُونَ﴾ سورة التوبة: 56

8- الصفة الثامنة: من صفات المنافقين الفرح بالمعصية:

المؤمن قد يقع في الذنب ويتوب فيقبله الله، أما المنافق فيفرح بالمعصية وترك الطاعة، وهو دليل على خواء قلبه من الإيمان، وقد وصف الله حالهم بقوله: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾. سورة التوبة: 81

وبيّن الشيخ أمين أحسن إصلاحي رحمه الله قائلا : " أن هؤلاء المنافقين فرحوا بقعودهم عن غزوة تبوك؛ لأنهم لا يؤمنون بثواب الجهاد مع النبي ﷺ، وفضّلوا راحة الدنيا على الأجر العظيم في الآخرة" [xxvii].

المبحث الثالث: الفقه الدعوي المتعلق بأسباب إعراض المنافقين من المدعوين عن الحق في تفسير الإصلاحي- رحمه الله -

وبعد استعراض بعض صفات المنافقين،كان من المناسب البحث عن أسباب اعراض المنافقين من المدعوين عن قبول الدعوة، لعل الداعية يتسلح بأساليب ووسائل تساعده في دعوة هذا الصنف من المدعوين.

إن إعراض المنافقين من المدعوين عن قبول الدعوة وعدم الإيمان بما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ له أسباب، ومعرفة هذه الأسباب مهمٌ للداعية للنجاح في دعوته لهذا الصنف من المدعوين، والجهل بأسباب إعراض المدعو المنافق ربما يؤخر الثمرة المرجوة من الدعوة، ومن الفقه

الدعوي المتعلق بأسباب إعراض المدعو المنافق في تفسير الإصلاحي- رحمه الله – ما يلي:

أولًا: من أسباب إعراض المدعو المنافق حبّ الطوية:

حبّ الطوية، أي ما يُخفيه الإنسان في قلبه من نية أو شعور. قال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱليَومِ ٱلآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤمِنِينَ﴾ سورة البقرة: 8

بيّن الشيخ أمين أحسن إصلاحي – رحمه الله – قائلا: " أن أخطر صور النفاق هي النفاق القلبي، حيث يُظهر المنافق الإيمان بلسانه ويخفي الكفر في قلبه. هؤلاء لا يحبون الحق ولا يطلبونه بصدق، ويعيشون في الشك والتردد والغفلة، فلا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا، إلا أن يهديهم الله" [xxviii].

ثانيًا: من أسباب إعراض المدعو المنافق أن في قلبه مرضًا:

القلب هو ملك الجوارح، فإذا فسد فسدت الجوارح كلها، كما قال النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" [xxix].

والمنافق قلبه مريض بمرض معنوي أشد خطرًا من المرض الجسدي، يجعله عاجزًا عن فهم الدين والاستفادة من المواعظ، فلا يدرك أسرار الشريعة ولا يتأثر بالحق، وقد أشار الشيخ أمين أحسن إصلاحي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ سورة البقرة: 10، قائلا: " إلى أن هذا المرض سببه النفاق، والجهل، والشك، والحقد، وهو ما يجعلهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ يظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، فيُحرمون الهداية رغم

توافر أسبابها" [xxx]، وهذا ما عبّر الله تعالى عنه بقوله جل وعلا: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ سورة الأعراف: 179.

ومن أسباب ذلك: الجهل، والنفاق، والشك، والارتياب، والحقد، إلى غير ذلك مما يفسد الاعتقاد والأخلاق، ويجعل أحكام العقل في اضطراب.

ثالثا: من أسباب إعراض المدعو المنافق الشك في دين الله تعالى :

فالشك أصل في قلب المنافق وإن أقسم أنه مؤمن؛ فإذا كان المؤمنون أقوياء أظهر الإيمان، وإذا ضعفوا أظهر النفاق في ثوب الإصلاح، مدعيًا الحرص على المجتمع .وقد أشار الشيخ أمين أحسن إصلاحي – رحمه الله – إلى ذلك عند تفسير قوله تعالى :﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ سورة التوبة:56 " أن المنافق يحلف كذبًا خوفًا من الفضيحة أو المواجهة" [xxxi].

كما أن هذا الشك يمنع قبول أعماله؛ فحتى إن أنفق ماله ظاهرًا فلن يقبل منه، لقوله تعالى:﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة: 53

وقلب المنافق دائما ملئ بالقلق والخوف من انكشاف نفاقه، فلا يطمئن للشريعة، ولا تؤثر فيه المواعظ والآيات؛ بل يعيش في غفلة وشك مستمر من أن يُفضَح نفاقه، وأن ينكشف سره .ولذلك، يشعر بالقلق إذا نزلت آية ما قد تفضح ما يُخفيه في داخله. كما وصفه الله بقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، سورة التوبة: 64 ، فقال الإصلاحي-رحمه الله- : " أي أن المنافقين يخافون أن تنزل سورة من القرآن الكريم تكشف حقيقة ما في قلوبهم من نفاق، وتفضح أسرارهم التي يُخفونها عن الناس".[xxxii]

رابعا: من أسباب إعراض المدعو المنافق، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

انتشار المنكرات في المجتمع سبب لنزول عذاب الله تعالى ، وسبب لقسوة القلب، ويُحرم العبد الهداية والرزق بسبب انتشار المنكرات، ومن أسباب إعراض المنافقين أنهم لا ينهَون عن المنكرات ولا يأمرون بالمعروف. وقد ألمح الإصلاحي- رحمه الله - إلى هذا المعنى عند تفسير قول الله – تعالى –: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَر فَعَلُوهُ﴾ سورة المائدة، آية79 ، فقال- رحمه الله-: " المنافقون لا يهتمون بتهذيب سلوكهم أو إصلاح غيرهم، فلا أحد منهم ينصح الآخر إذا ارتكب منكرًا، حتى لو كان واضحًا وفاضحًا. وهذا التصرف يُظهر أن قلوبهم مريضة، ولا تحمل غيرة على الدين أو حرصًا على الخير".[xxxiii]

وقد بيّن الشيخ الإصلاحي رحمه الله : " أن ترك النهي عن المنكر يؤدي إلى فساد المجتمع، لأن النهي عن المنكر هو حِماية للدين، وسياجٌ لحماية الأخلاق الطيبة والآداب الحسنة ". [xxxiv]

هذه أبرز أسباب إعراض المنافق،كما ظهرت في تفسير تدبرِ القرآن للإصلاحي – رحمه الله –، فعلى الداعية أن ينظر في هذه الأسباب، وأن يتخذ الوسائل والأساليب المناسبة لدعوة هذا الصنف من المدعوين، وبذل الجهد في إزالة هذه الموانع لعل الله يهدي أهل النفاق إلى السراط المستقيم، فهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى نبينا محمد أفضل وأتم الصلوات وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وبعد، ففي ضوء ما تم بحثه وتحليله، توصّل الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات التالية:

أهم النتائج:

1. النفاق من أخطر الظواهر الاجتماعية والدينية التي هددت المجتمع الإسلامي منذ نشأته؛ لما يسببه من تفكك داخلي وبث الفتنة بين المؤمنين.

2. القرآن الكريم تناول النفاق بتكرار ووضوح، محددًا صفاته وآثاره ومحذرًا من خطره، ومع ذلك لم يُخرج المنافقين من دائرة الخطاب الدعوي، بل خاطبهم ببيان وتحذير ودعوة إلى التوبة.

3. اعتمد إصلاحي في تفسيره على منهج تدبّري تحليلي يُبرز الترابط الموضوعي بين الآيات ويكشف الجوانب التربوية والدعوية في بيان صفات المنافقين وخطرهم على وحدة الصف.

4. كشف إصلاحي عن الأسباب النفسية والسلوكية للنفاق مثل: مرض القلب، الشك، الرياء، حب الدنيا والظهور، والخوف من الفضيحة؛ وهي مفاتيح تساعد الداعية على فهم جذور الظاهرة ومعالجتها.

5. أبرز إصلاحي الصفات القرآنية للمنافقين كالكذب، والغدر، والكسل في العبادة، وكثرة الحلف الكاذب، والسخرية من المؤمنين، مع تحليله لها من زاوية دعوية تربوية.

6. الأسلوب القرآني في مواجهة النفاق قائم على الوصف والصفة دون تسمية الأشخاص؛ وهو منهج إصلاحي يهدف إلى التنبيه والإنذار وفتح باب التوبة، بعيدًا عن التشهير.

أهم التوصيات:

1- المنافقين هم أحد أصناف المدعوين التي على الداعية الاهتمام بدعوتهم واختيار أفضل الوسائل لذلك.

2- على الدعاة العودة إلى كتاب الله تعالى لاستنباط الوسائل والأساليب المناسبة لكل صنف من أصناف المدعوين عموما والمنافقين بشكل خاص.

3- على المسلمين الحذر من المنافقين نظرا لخطورتهم على المجتمع المسلم وفي نفس الوقت عدم التشهير بهم .

4- على الباحثين القيام بالدراسات التي تبرز الوسائل والأساليب المناسبة لدعوة المنافقين في العصر الحاضر وفي البيئات المختلفة.

5- على المؤسسات الرسمية فتح الباب بل وتشجيع الداة على القيام بدورهم في الدعوة وخصوصا دعوة المنافقين.

6- **المصادر والمراجع**

---

[i] ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل، لسان العرب: 10/ 359، مقاييس اللغة: 2/ 455، القاموس المحيط: 926.

[ii] : 5/ 98 : 26/ 431.

[iii] (1/ 89) (78).

[iv] فتح الباري، ج 1، ص 89 - 90.

[v] : 1/ 21 (33) : 1/ 78 (107).

[vi] مسند الإمام أحمد: 1/ 288، (143)، ابن حبان في صحيحه: 1/ 281، (80)، المعجم الكبير: 18/ 237، (593)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح."، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 1/ 445، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته: 2/44

[vii] سنن الدارمي: 1/ 44.

[viii] تفسير تدبر القرآن، أمين أحسن إصلاحي، 1/ 115-116، دار الفاران، لاهور، الطبعة الثانية، 1439 ه-2018م.

[ix] 1/ 117-118

[x] 1/ 500-502

[xi] تفسير تدبر القرآن، ، 2/ 2001-2004

[xii] تفسير تدبر القرآن، ، 2/ 414-415

[xiii] تفسير تدبر القرآن، ، 1/ 114

[xiv] تفسير تدبر القرآن، ، 1/ 114

[xv] تفسير تدبر القرآن، ، 1/ 500-505

[xvi] تفسير تدبر القرآن، ، 1/ 115-116

[xvii] تفسير تدبر القرآن، ، 7/ 366

[xviii] 8/375

[xix] تفسير تدبر القرآن، ، 1/503

[xx] تفسير تدبر القرآن، ، 3/488

[xxi] تفسير تدبر القرآن، ، 3/574

[xxii] تفسير تدبر القرآن، ، 3/592

[xxiii] تفسير تدبر القرآن، ، 6/251

[xxiv] تفسير تدبر القرآن، ، 2/406

[xxv] تفسير تدبر القرآن، ، 474/3

[xxvi] تفسير تدبر القرآن، ، 542/2

[xxvii] تفسير تدبر القرآن، ، 610/3

[xxviii] تفسير تدبر القرآن، ، 114/1

[xxix] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (20/1) (52)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (1219/3) (1599).

[xxx] تفسير تدبر القرآن، ، 114/1

[xxxi] تفسير تدبر القرآن، ، 575/3

[xxxii] 590/3

[xxxiii] تفسير تدبر القرآن، ، 562/2

[xxxiv] تفسير تدبر القرآن، ، 563/2